المزمور ١٢
آفة الشفاه المتملّقة

الأب جوزف بو رعد
دكتور في العلوم البيبليّة
الجامعة الأنطونيّة

تقدِّم هذه الدراسة قراءةً موضوعاتيّة (thématique) للمزمور الثاني عشر من زاوية تركيزه على آفة الرياء، أو، بعبارة أخرى، على ظاهرة "الشفاه المتملِّقة". إنَّها محاولة لرصد آفة الكذب وتداعياتها على الحياة الاجتماعيَّة، في المزمور ١٢، أوَّلاً، وفي مزامير أخرى مشابهة، ثانيًا.

خيارنا هذا يدفعنا إلى اعتماد منهجيَّة مزدوجة تبدأ بقراءة متأنِّية وسريعة في آن للمزمور ١٢، تهدف إلى تسليط الضوء على السياق العامّ الذي ترد فيه هذه العِبارة، وتُستكمَل بمساءلة عدد من المزامير التي عرضت لهذه الآفَة بعبارات مشابهة، حتّى ولو أتى ذلك في سياقات مختلفة.

أ – آفة الرياء في مز ١٢

١. النصّ

١ لإمام الغناء. على الدَّرجَة الثامنةَ، مَزْمور. لداود

٢ خَلِّصْ يا رَبُّ، فإنَّ الصَّفيَّ قد انقَرَض، والأَمينَ من **بَني آدَمَ** قد زالَ.

٣ كُلُّ امرئٍ يُكَلِّمُ صاحبَه بالباطِل، وبِشِفاهٍ تَتَمَلَّقُ (شفة تملقات) وقُلوبٍ تَزدَوِجُ (قَلب وقلب) يَتَكَلَّمونَ.

٤ لِيَسْتَأصِلِ الرَّبُّ جَميعَ الشِّفاهِ المُتَمَلِّقة، واللِّسانَ النَّاطِقَ بِالكَلامِ المُفَخَّم (بالعظَائم).

٥ ومَن قالوا: "بأَلسِنَتِنا نَنتَصِر (نتجبّر)، شِفاهُنا مَعنا فمَن يَسودُنا".

٦ مِن أَجْلِ اغْتصابِ البائِسينَ، وتَنَهُّدِ المَساكينِ أَقومُ الآنَ، يَقولُ الرَّبّ، وأُنعِمُ بِالخلاصِ على مَن إِلَيه يَتوقون.

٧ أَقوالُ الرَّبِّ أَقوالٌ طاهِرة، فِضَّةٌ مَصْهورةٌ في بوتَقَةٍ مِن تُراب، صُفِّيَت سَبعَ مرَّات.

٨ أَنتَ يا رَبُّ تَحفَظُنا (تحفظهم)، وللأبدِ مِن هذا الجيلِ تَحْمينا (تحميه).

٩ إنَّ الأَشرارَ في كُلِّ ناحِيَةٍ يَطوفون، في حينِ رَذالةُ **بَني آدَمَ** تَتَفاقَم.

٢. خصائص النصّ الأدبيّة(١)

يتَّفق الشرّاح على تقسيم هذا النصّ إلى ثلاثة أقسام، يتضمَّن كلٌّ منها عناصر أدبيَّة مختلفة:

١) آ ٢–٥: طلب استغاثة، ووصف لواقع المجتمع.

٢) آ ٦: جواب الربّ بصيغة المتكلِّم (على لسان نبيّ– متحدِّث باسم الربّ).

٣) آ ٧–٩: إشادة بأقوال الربّ، وهي تتناقض مع كلام المنافقين (آ ٧ على خانة نشيد)؛ إعلان الثقة بالله كردّة فعل الجماعة على كلمة الربّ (صيغة جمع المتكلِّم)؛ استنتاج أخير يصف واقع الحال، ويقرُّ بتفاقم رذالة بني آدم، بنبرة مُحبطة.

٣. خصائص النصّ البلاغيَّة

نلاحظ بنية محوريَّة للنصّ: قولٌ للربّ في وسط المزمور (آ ٦)، أمّا على طرفيه فدعاء له يعرض فيه للواقع المزريّ (آ ٢–٣؛ ٨–٩: صيغة المخاطب)، أمّا في باقي النصّ فالحديث عن الربّ يأتي بصيغة الغائب (٤–٥ و٧).

(١) نلفت النظر إلى صعوبة النصّ، إن من ناحية عدم ثباته (آ ٦ وآ ٩)، وإن من الناحية الأدبيّة لورود بعض التعابير الفريدة فيه، مثلاً: פִּסּוּ וְזֻלּוּת.

وإذا ما نظرنا إلى المفردات، نلاحظ ظهور الجذر יֵשַׁע مرَّتين في النصّ (آ ٢ و٦): طلب الخلاص يقابله وعد إلهيٌّ بالخلاص، وفي ذلك استجابة للطلب الأوّل. كما نلاحظ أيضًا ظهور عبارة بني آدم (בְּנֵי אָדָם) مرّتين : مرّة في بداية النصّ (آ ٢)، ومرّة في خاتمته (آ ٩). إنّنا أذًا أمام إحاطة عامّة ورئيسة للنصّ، وكأنّ واقع الحال لم يتغيّر على الرغم من كلّ ما قيل، إنْ من ناحية استجداء صاحب المزمور التدخّل الإلهيّ ("خلّص يا ربّ"، آ ٢؛ "ليستأصل الربّ"، آ ٤)، أم من ناحية وعد الله الخلاصيّ (آ ٦)، ومن ناحية تأكيد المزمور على صلابة القول الإلهيّ. بالمحصلة، نحن أمام واقع مُحبِط[٢].

٤. نوع النصّ الادبيّ

يبدأ المزمور بدعاء يوجّهه المصلّي إلى الله يسأله فيه التدخُّل، وذلك تحت عنوان عامّ هو الخلاص. ومن الملفت للنظر أنّ النصَّ لا يحدِّد الجهة المستفيدة من هذا الخلاص (أنا أم نحن، أي الجماعة، أم المسكين بشكل عامّ). هذه النقطة بالتحديد تبقى غامضة حتّى بعد قراءة القسم المتبقّي من الآية؛ فالمطلوب ليس إنقاذ الصفيّ، أو الأمين، من يد الشرّير، لأنّ هذا الأخير، وبحسب النصّ، قد انقرض، وزال، أي بات غير موجود. والحال أنّ فعلة الأشرار لا تقع على البريء، الذي من المفترض أنّه زال، وإنّما على أصحابهم، بعد أن أضحوا كلّهم شركاء في الفساد (آ ٢). هذه الآية الافتتاحيَّة تقدِّم مشهدًا عامًّا لمجتمع عمّ الفساد فيه إلى أقصى الحدود، من دون أن يستثني أيًّا من مكوِّناته. لكن ما معنى طلب الخلاص الذي يتصدَّر المزمور إذا كانت الأمور قد وصلت إلى هذا الحدّ؟ وفي أيّة خانة يضع صاحب المزمور نفسه، هو الذي ينتمي إلى المجتمع عينه ؟

(٢) يعتبر **تْسنْغر** (**المزامير**، الجزء الأوّل، ص ١٧٧) آ ٩ مضافة على النصّ لربط هذا المزمور بالمزمور السابق. هَذا الشرح المبسّط للصعوبة اللاهوتيّة التي يطرحها وجود آ ٩ في نهاية المزمور يبدو لنا غير مقنع.

الجواب على هذا السؤال يأتي في الآيات اللاحقة، والتي تقدِّم صورة مختلفة عمّا قيل في الآيَتين ١ و٢. والحال أنّه، ابتداءً من آ ٦، تظهر فئة من الناس مغبونة ومتأذِّية من هذا الواقع، وهي فئة المساكين والبائسين، بل والجماعة التي يتحدَّث صاحب المزمور باسمها (آ ٨: "تحفظنا")، والتي تنأى بنفسها عن هذا الجيل.

هذا التفاوت في وصف واقع المجتمع يلقي الضوء على المغالاة التي تميِّز هذه الآيات الأولى، والتي تعطي النبرة العامّة للنصّ، بل وتحدّد نوعه الأدبيّ: إنّها نبرة نبويَّة بامتياز (إر ٥: ١؛ ٦: ٢٨؛ مي ٧: ٢). ما يؤكِّد هذا المنحى وجود عناصر أدبيَّة نبويَّة أخرى، أهمُّها الخطاب الإلهيّ المقدَّم بصيغة قول نبويّ ("يقول الربّ": آ ٥)، والتحدُّث باسم الفقراء، والتنديد بالظلم الذي يُلحق بهم[٣].

من ناحية أخرى، يُلاحَظ غياب تعابير الألم الجماعيّ أو الفرديّ عن وصف الحالة الاجتماعيَّة المخزية، وهي – أعني التعابير – تميّز عادة مزامير الاستغاثة، وتبدأ، كما في مز ١٢، بالتوجُّه إلى الله في الآيات الأولى بصيغة المخاطب لطلب مساعدته. أضف إلى ذلك أنّ الربّ لا يتوجَّه في كلامه إلى جهة محدَّدة، ممّا يضفي على النصّ بُعدًا شموليًّا تعليميًّا، وبالتالي حكميًّا. من ناحية أخرى، موضوع النصِّ العامّ، أي التنديد بطريقة استعمال الكلمة من قِبل الأشرار، هو موضوع حكميٌّ بامتياز. هاتان الميزتان دفعتَا **تْسنْغر** إلى وضع النصّ في خانة التضرُّع أو التشفُّع النبويّ؛ فالآيتان ٢ و٣ ترفعان صَرخة اعتراضيَّة منددِّة بالفساد الاجتماعيّ وتعبِّران عن شيء من الحسرة والألم لما آلَ إليه واقع شعب الله[٤].

(٣) يضيف **تْسنْغر** (**المزامير**، الجزء الأوّل، ص ١٧٧) إلى هذه المؤشّرات الحديث عن الساعة التي تحلّ أو القول الإلهيّ "والآن اقوم" في آ ٦. أنظر ١٢: ٦؛ ٦٨: ٢؛ ١٠٢: ١٤؛ أش ٢٨: ٢١؛ ٣٣: ١٠. يقول **غونْكل** (**مدخل إلى المزامير**، ص ٢٥٢) إنّ حلول الخلاص الوشيك هو بُعْدٌ أساسيّ من الأبعاد الأخرويّة في لاهوت المزامير، ولكنّه يعتبرها خارجة عن السياق العامّ.

(٤) المغالاة في وصف الواقع المزريّ أو حتّى النقد اللاذع للمجتمع يستبعد الإطار الليتورجيّ للنصّ، بحسب **تْسنْغر** (**المزامير**، الجزء الأوّل، ص ١٧٨). ولكنّ الكاتب عينه، وفي موقع آخر (المزامير، الجزء الرابع، ص ٧٧)، يضع هذا النصّ في خانة الرثاء النبويّ الليتورجيّ (prophetischen Klageliturgien): كلمة إلهيّة في وقت شدّة يلتمسها الشعب، ويعلنها نبيّ في الهيكل. في السياق

يقدّم النصّ إذًا نقدًا لاذعًا للمجتمع بأسلوب وتحليل حِكَمِيَّين–نبويَّين. يفضح الاستعمال الموروب للكلمة، ويندّد بانتشاره في المجتمع إلى حدّ اعتباره عرفًا، بل سنّة تنظّم حياة المجتمع. والجدير بالذكر أنَّ الكلمة تشكّل أداة تَواصُل أساسيَّة، ودور الكلمة الأهمّ ليس التفاهم اليوميّ بين الأفراد وحسب، بل بالأكثر، سير الأحكام (القضائيَّة) في مجتمع شفهيّ بامتياز؛ فالكذب الرسميّ (شهادة الزور) كان أسهل في تلك الأيّام (موت نابوت اليزرعيليّ؛ ١مل ٢١: ١–١٦)، في حين أنّ الأحكام في يومنا تعتمد على المستندات المكتوبة، المثبتة والموثّقة.

٥. قراءة عامّة للنصّ

أ. فساد المجتمع (آ ٢–٥)

الجوُّ العامُّ في القسم الأوّل هو انتفاء الصدق من المجتمع. لا يمكن أن يُعَوَّل على كلمة بشر أو الوثوق بها؛ فهم يفيضون بالإطراء، وينشرون النَّميمة بشفاه متملّقة. يضمرون غير ما يعلنون. يجعلون من ازدواج القلب والكلمة قاعدة للتعامل في ما بينهم. لا يأبهون لشهادة الزور. ينتصرون في المحاكم بفضل التضليل والقَسَم بالباطل، بقوَّة لسانهم وليس بقوَّة الحقّ. إنجازاتهم ونجاحاتهم تدفعهم إلى أن ينسبوا كلَّ شيء لذاتهم. لا يسودهم أحد. كلامهم يلامس الكفر ("من يسودنا ؟"؛ حرفيًّا: "من سيِّدٌ علينا (מִי אֲדוֹן לָנוּ)"، أي لا سيِّد لنا)(٥). أمّا صاحب المزامير فيحوِّل طلب الخلاص إلى دعاء إلى الله،

نفسه، يعتبر **غُونْكل (مدخل إلى المزامير**، ص ٢٥١) هذا المزمور مزمورًا ليتورجيًّا مختلطًا، مستندًا بذلك إلى عناصر أدبيّة عدّة، أهمّها: طلب الاستغاثة في بداية النصّ، الجواب الإلهيّ (ينقله نبيّ أو كاهن في الهيكل) في وسط النصّ الذي يضفي على المزمور بُعْدًا حواريًّا، الجواب في صيغة الـ"نحن" (جماعة) في آ ٨. عن استشراء الفساد في المجتمع في مزامير الرثاء الفرديّ، أنظر ١٠: ٢–١١؛ ٩٤: ٣–٧؛ ١٢٥: ٥.

(٥) على نقيض ذلك، يؤكّد مز ٥١: ٢–٤ بأنّ البار يتكلّم بالحقّ بقلبه (דִּבֶּר אֱמֶת בִּלְבָבוֹ)؛ لا يفتري بلسانه، ولا يصنع بصاحبه شرًّا، بل هو "صاحب كلمة" إذ إنّه إنْ أقسم، مضرًّا بنفسه،لم يَخلف.

بنبرة اللعنات (آ ٤)، لكي يستأصل من المجتمع أصحاب الشفاه المتملّقة. الاقتباس المباشر لكلمات الأشرار (آ ٥) يهدف إلى كشف أفكارهم ومعاني هذه الكلمات أمام الله[٦]. استشهاد مباشر بكلامهم يقابله استشهاد مباشر بالربّ: كلمتهم مقابل كلمة الربّ.

بحسب مز ١٧: ١٠ تنطق أفواه الأشرار بالكبرياء، وقد "انغلقوا في شحمهم"، أو "أغلقوا بالشحم قلوبهم". يرمز الشحم إلى الرخاء والبحبوحة، ولكنّها في هذه الحال مصطنعة ومشينة ومبنيّة على ظلم الآخَرين (البطر؛ تث ٣٢: ١٥: انتفخوا). أمّا الحديث عن الشحم الذي يطال القلب فيعني أنَّ صاحبه أضحى غليظًا، بدون شعور، إذ إنّ الشحم يغلّف القلب، فيصبح صاحبه بليدًا (أش ٦: ١٠)، لا يتفاعل مع محيطه، ولا مع كلمة الله فيتكبَّر (هو ١٣: ٦).

ب. الجواب الإلهيّ (آ٦)

جواب الربّ، "سأنهض لنصرة المظلومين"، يقدِّم ملخَّصًا عامًّا لوعود العون والمساعدة التي تطلق على مظلوميّ الشعب (رج خر ٣: ٧ و١٤). نحن أمام قول نبويّ خلاصيّ (مز ٩١: ١٤–١٦).

يضع المزمور قوَّة الأشرار التدميريَّة والفتّاكة بموازاة قوَّة الله الخلاصيّة، والتي يثيرها المساكين والبائسون بدعائهم. كما ويؤكِّد أنَّ تنهُّد المساكين لن يجد الربَّ غيرَ مبالٍ، إذ إنّه يُنعِم بالخلاص على طالبيه، وبالتحديد صاحب المزمور الذي استهلَّ صلاته باستجداء هذا الخلاص (آ ٢).

كلام الربّ سيتحقَّق في مجتمع لم يعد يؤمن بالحقيقة، ويساوي كلمة الله بأيِّ كلمة أخرى، يسخّفها ويستخفُّ بها.

(٦) تْسِنْغِر، **المزامير**، الجزء الأوّل، ص ١٧٨.

ج. صلابة أقوال الربّ وهشاشة الواقع (آ ٧–٩)

يرسم المزمور، بشكل نشيد، ملامح كلمة الربّ على خلفيَّة تضاربها مع كلمة البشر. صراع بين كلمتين وإعلانين: الاوَّل للأشرار الذين لا إله لهم، والثاني للربّ. الأوَّل محكوم بالازدواجيَّة، بينما الآخر لا ينتابه أيُّ غشّ، إذ إنَّه كالفضَّة الخالصة المصفّاة سبع مرّات. كلمة الربّ ممحَّصة، مصقولة من الداخل، أمّا كلامهم فمنمَّق، عولج من الخارج من دون المساس بداخله، ناعم (שִׂפְתֵי חֲלָקוֹת)؛ يدلُّ الجذر العبريّ أيضًا على الانزلاق. إنَّها كلمات ظاهرها غير مؤذٍ، ولكنَّ معدنها ما زال نفسه؛ من ناحية ثانية، هي غير ثابتة، لا يمكن البناء عليها (إنزلاق؛ أنظر ٧٣: ١٨).

مهما عظمت قوَّة الأشرار وعلا شأنهم، فكلمة الربّ تستحقُّ الثقة وتؤسِّس للرجاء.

ب – آفة الرياء في مزامير أخرى

نعرض في ما يلي لنصوص مختارة تتطرَّق إلى آفة الكذب والرياء بتعابير وأوصاف مشابهة لتلك التي استوقفتنا في قراءتنا لـ مز ١٢. يهدف هذا العرض السريع والمقتضب لأجزاء من مزامير محدّدة إلى تأكيد كثافة حضور هذا الموضوع في كتاب المزامير، كما وإلى إلقاء الضوء على تنوُّع التعابير التي يوصف بها. يبقى أنَّ هذا العرض لا يقدِّم إلاّ نموذجًا متواضعًا لدراسة أشمل وأدقّ يجب أن تشمل جميع المزامير التي تذكر هذه الآفة في معرض الحديث عن تصرُّف الأشرار، أو أعداء المصلِّي، المنذَّد به.

– مز ٥: ٧ و ١٠

"...[٧] تهلك (الربّ) الناطقين بالكذب، سافك الدماء والماكر يمقته الربّ".

"[١٠] فإنَّه لا صدق في أفواههم، والدمار ملء بواطنهم؛ حناجرهم قبور مفتَّحة، وبألسنتهم يتملّقون".

يضع النصّ في آ ٧ الناطق بالكذب وسافك الدماء والماكر على مستوى واحد من حيث أنَّ الربّ يهلكهم جميعًا، مُظهِرًا بذلك الترابط في ما بين هذه الآفات؛ فالكذّاب الشاهد بالزور على البريء هو سافك لدمائه.

أمّا فـي آ ١٠، فصاحب المزمور يؤكّد أنّ الأشرار لا شيء ثابتًا (נְכוֹנָה) أو موثوقًا به في أفواههم. تملّق وحسب. هناك تضارب واضح بين الباطن والخارج، بين الظاهر والمستور: الفم–الباطن، واللسان–الحنجرة. حناجرهم كالقبور المفتوحة، أي أنّها مكان للموت والدمار، ولكنّها مهيّئة لابتلاع المزيد من الأحياء الذين يوقعهم اللسان المتملّق فيه، إذ لا يُظهر لهم إلاّ التهذيب واللطف والودّ (خارجُ القبرِ مبيّضٌ؛ مت ٢٣: ٢٧)؛ فالحناجر إذًا مشرّعة لابتلاع الضحيَّة التي تقع فيها كمثوى الأموات الذي يبتلع الجميع، يقع فيها البريء دون علمه. إنّهم كالفخّ يَغرّون بكلامهم المعسول. الباب الذي يُخرج الكلمة ويُدخل الهواء للحياة أضحى باب الموت!

– مز ٣٦: ١–٢

"توسوس المعصية للشرّير في صميم قلبه؛ فإنّ مخافة الله ليست نصب عينيه، لأنّه تملَّق نفسه حتّى لا يجد إثمه ممقوتًا في عينيه".

يبدو من هذه الآية أنَّ منطق ازدواجيَّة اللغة والقلب الذي اعتمده الشرّير في تعاطيه مع الآخرين انسحب على فهمه ووعيه للأمور، وبالتالي أفقده حسّه الأخلاقيّ والأدبيّ. تملّقه على الآخرين، أي إعطاؤهم من الودّ ما ليس في قلبه، ومحاولة إغرائهم بكلمات منمّقة ومعسولة انتهى به بالتملُّق على نفسه، أي بالانخداع، فبات مقتنعًا بالكذب الذي روَّج له، ولم يعد الآمر ممقوتًا في عينيه. الانحراف بات سلوكه الطبيعيّ والعاديّ، فلا يؤنِّبه ضميره، إذ أضحى لا يميِّز بين الخير والشر.

– مز ٦٤: ٤–٧

"٤مَن كالسيف سنُّوا الألسنة، وسدَّدوا السهام ومُرَّ الكلام،

٥ ليرموا البريء خفية، يرمونه بغتة ولا يخافون.
٦ عزائمهم على أمرٍ شرّير يشدِّدون، في نصب الشباك حسابًا يحسبون
قائلين: "مَن يبصر،
٧ وخفايانا من يسبر؟". يسبرها ذاك الذي يسبر باطن الإنسان وأعماق
القلوب".

كلام الأشرار ضدَّ الصدّيق، أو صاحب القلب المستقيم، كلام مرّ. يفعل فعلة سهم مسدَّد باعتناء وبراعة ضدَّ إنسان. نحن أمام حرب، أدواتها السهم والسيف، ولكنَّها مموّهة. لا مواجهة مباشرة بين الطرفين (السيف يفترض ذلك)، إنّما هناك طرف يضمر العداء لطرف آخر، ويظهر له الودّ؛ فالأفضل إذًا الحديث عن استعارة صيد (مز ١١؛ البار يُشبَّه بالعصفور: "إهرب كالعصفور إلى جبلك")، حيث يفترض أنَّ الفريسة تجهل وجود الصيّاد الذي يتحرَّك في الخفاء (في الدجى، خفيةً: "مَن يبصر، وخفايانا من يسبر؟")، وهو يترقَّبها، وينتظر الوقت المناسب ليسدِّد سهمه. غالبًا ما يتحضَّر الصيّاد باعتناء لهذه اللحظة ("يشدُّ القوس، يسدِّد السهم")، ويهاجم فريسته في لحظة استرخائها ("بغتة"): عنصر المفاجأة أساسيّ لإلحاق أكبر قدر ممكن من الأذى. والحال، فالكلمات المرّة الصادرة عن إنسان نبادله العداء لا تؤذينا، بقدر ما تؤذينا تلك الصادرة عن صديق مفترض (مز ٥٥: ١٣–١٥)؛ ففي الحالة الأولى سهام العدوِّ تجدنا محصَّنين، وأمّا في الثانية فتجدنا عُزَّلاً وغير مهيَّئين.

الصورة الثانية التي تُستعمل هي الفخّ أو نصب الشباك، وهي أيضًا تعود إلى عالم الصيد. كيف يشدُّنا الشرّير إلى شباكه؟ بالكلام المعسول بـ"الطُعم" أو بحسب نصِّنا، بالكلام المفخَّم أو العظائم.

من ناحية أخرى، نجد أنّ فِعلة الأشرار ليست وليدة صدفة أو ردّة فعل عفويَّة، بل هي نتيجة تصميم مسبق، وتحضير طويل ومتقن، ومهارة في استعمال القوس، بل وعمل فريق متكامل ("يشدِّدون عزائمهم"؛ ٦٤: ٦). إنّها

نتيجة تخطيط وتصميم لا يسبرهما إلاّ ذلك الذي يسبر باطن الإنسان وأعماق القلوب: يمكن أن يفعلوا فعلتهم وينجوا منها. مهارتهم تساعدهم على إخفاء معالم الجريمة فلا يفضحهم إلاّ الله.

الخاتمة

إنَّ أكثر ما يعلق في وجداننا ويؤثِّر فينا كمسيحيّين مشرقيِّين من هذا المزمور هو بعده النبويّ والحكميّ؛ فوصفه لواقع اجتماعيّ يتآخى فيه أفراد مع الكذب والتملُّق ينطبق على مجتمعاتنا العربيَّة، ويكشف أحد أهمِّ أسس تعاطينا الاجتماعيّ، والذي نادرًا ما نرفع صلاة تندِّد فيه أو حتّى نتضرَّع للربّ للخروج من منطقه المميت؛ فالزبائنيَّة والمحسوبيَّة مع ما يرافقهما من تملُّق وإطراء (هل لأنّ كلاً منّا يحسب نفسه مسيحًا؟ هل يعكس ذلك عقدة نقص دفينة؟)، كما والتكابر، والتحدُّث بالعظائم، ليست معيبة بالنسبة إلى كثيرين منّا، بل هي مرجوّة، إن لم تكن محمودة. سِعَةُ انتشارها في ديارنا كأسلوب عامّ للتعاطي الاجتماعيّ تساعدنا على إعفاء أنفسنا من مشقَّة النظر إلى ضحايا هذا الأسلوب، على كثرتهم.

يطلق صاحب المزامير، على الرغم من وعيه التامّ لمدى تجذُّر هذه الآفة في مجتمعه ومجتمعنا، صرخة مدوِّية في ظلام الحقيقة ضدَّ أشرار يطوفون في كلِّ ناحية، داعيًا كلَّ من لم ينتفخ بعد حدَّ اللارجوع إلى توحيد القلب والكلمة، وتأسيسها على الحقيقة، وإلى التمثُّل بالله، فيقوم وينتفض للبائسين والمساكين، متَّكلاً على قول الربّ الممحّص ليعيد للكلمة كرامتها وللحقيقة تألُّقها.

المراجع

GUNKEL H., *An Introduction to the Psalms*. The Genres of the Religious Lyric of Israel, Macon 1998 (translated from the fourth edition of *Einleitung in di Psalmen*: die Gattungen der religiosen Lyrik Israels).
ZENGER E., *Psalmen*. Auslegung, Band I-IV, Freiburg 2003.